Journal of Language Studies Vol. 10, No. 2, Part 2, 2026, Pages (56-74)
DOI: https://doi.org/10.25130/Lang.10.2.P2.4

IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
ISSN: 2663-9033 (Online) | ISSN: 2616-6224 (Print)
Journal of Language Studies
Contents available at: https://jls.tu.edu.iq/index.php/JLS

Grammatical Interpretations in Light of Cognitive Linguistics (a Study in Light of the Mental Understanding of Grammatical Structures)

Dr. Abdul-Munim Abdullah Khalaf *
Department of Arabic Language, College of Basic Education - Al-Sharqat, Tikrit University, Tikrit, Iraq
abdulmunim@tu.edu.iq

Received: 17/05/2026, **Accepted:** 02/06/2026, **Online Published:** 30/06/2026

Abstract

This study, entitled *Grammatical Interpretations in the Light of Cognitive Linguistics: A Study Based on the Mental Processing of Grammatical Structures*, examines how Arab grammarians accounted for grammatical constructions that deviate from established analogical rules. Their analyses sought to reveal the relationships between meaning and syntactic form within these constructions. The present study aims to build upon the methodological approach developed by earlier scholars in explaining the relationship between form and meaning, as well as the cognitive links established in the minds of both the speaker and the hearer during the process of communication.

The study is organized into two main sections. The first, "Grammatical Interpretation and Cognitive Linguistics: A Study of the Concept and Its Development," examines the theoretical foundations of both grammatical interpretation and cognitive linguistics. The second, "Grammatical Interpretation and Cognitive Linguistics: Selected Examples of

* **Corresponding Author:** Abdul-Munim Abdullah Khalaf, **E-mail:** abdulmunim@tu.edu.iq
Affiliation: Tikrit University – Iraq.
© This is an open access article under the CC by licenses http://creativecommons.org/licenses/by/4.0

Interpretive Phenomena in the Holy Qur'an," analyzes selected Qur'anic examples in light of cognitive linguistic principles. The study concludes with a conclusion followed by a list of references.

Keywords: Grammatical interpretations, Cognitive linguistics, Mental understanding of grammatical structures

التأويلات النحوية في ضوء اللسانيات الإدراكية (دراسة في ضوء الفهم الذهني للتراكيب النحوية)

أ. م. د. عبد المنعم عبد الله خلف

قسم اللغة العربية، كلية التربية الأساسية – الشرقاط، جامعة تكريت، تكريت، العراق

المستخلص

إن بحثنا الموسوم (التأويلات النحوية في ضوء اللسانيات الإدراكية– دراسة في ضوء الفهم الذهني للتراكيب النحوية) هو بيان ما استوعبه العلماء لما خرج عن القياس من القواعد النحوية للتراكيب هذا الاستيعاب الذي جاء؛ ليمثل الكشف عن العلاقات بين المعاني والمباني للتراكيب وغايتنا هنا استكمال ما انتهجه وارتسمه العلماء لفهم العلاقة بين المبنى والمعنى ومن الروابط المبنية في الذهن بين المتكلم والمخاطب السامع ، وقد توزعت خطة البحث على مبحثين، المبحث الأول: (بين التأويل النحوي واللسانيات الادراكية قراءة في المفهوم والنشأة) ، المبحث الثاني (بين التأويل النحوي واللسانيات الادراكية نماذج مختارة من مظاهر التأويل في القرآن الكريم)، ثم الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحية: التأويلات النحوية، اللسانيات الإدراكية، الفهم الذهني للتراكيب النحوية

المقدمة

ظلَّ النحو العربي عبر تاريخه الطويل علما يتأسس على محاولات ضبط اللغة وفق القاعدة والقياس، غير أن النحاة كثيرًا ما واجهوا ظواهر لغوية خارجة عن القياس، أو تراكيب يصعب تفسيرها بالقواعد المعيارية وحدها، فكانوا يلجؤون إلى ما سُمّي بـ التأويل النحوي، هذا التأويل لم يكن مجرد حيلة لردّ الظاهرة إلى الأصل، بل هو في حقيقته محاولة لفهم العلاقة بين المبنى والمعنى، واستيعاب ما قد يخفى من الروابط الذهنية بين المتكلم والسامع.

من هنا جاءت فكرة هذا البحث الذي يروم إعادة قراءة التأويل النحوي عند العرب في ضوء مبادئ اللسانيات الإدراكية، للكشف عن البعد المعرفي الكامن في تأويلات النحاة، وإبراز أن ما كانوا يمارسونه لم يكن مجرد تقعيد أو اصطناع بل كان انعكاسًا لآليات ذهنية في الفهم والتأويل.

مشكلة البحث، تتمثل مشكلة البحث في التساؤل الآتي:

هل يمكن النظر إلى التأويل النحوي عند العرب بوصفه آلية إدراكية لفهم اللغة؟.

وكيف تسهم أدوات اللسانيات الإدراكية في إعادة تفسير الظواهر النحوية المؤوّلة؟.

وقد توزعت خطة البحث على مبحثين، المبحث الأول: (بين التأويل النحوي واللسانيات الادراكية قراءة في المفهوم والنشأة)، المبحث الثاني (بين التأويل النحوي واللسانيات الادراكية نماذج مختارة من مظاهر التأويل في القرآن الكريم)، ثم الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

أما أهداف البحث، فمن أهمها:

- توضيح مفهوم التأويل النحوي كما مارسه النحاة الأوائل.
- ربط هذا المفهوم بالتصورات الحديثة في اللسانيات الإدراكية.
- تطبيق الأدوات الإدراكية على نصوص قرآنية المعرفية.

وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي لوصف التأويلات في القرآن الكريم.

فأسأل الله السداد في العمل وأن يجل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم.

المبحث الأول:

بين التأويل النحوي واللسانيات الادراكية قراءة في المفهوم والنشأة

ويمكن بيان ذلك بما يأتي:

1. مفهوم التأويل النحوي

والمراد بمعناه العام هو البيانُ(ينظر: الاشبيلي (ت 543هـ)، ط1: 231)، ومنه التَّدَبُّر في بيان الحقيقةِ المعنية من غيرِها (ابن تيمية (ت 728هـ): 12)، فضلا عن إزالة الغموض بحجة مقنعة، ف "التأْويل: تفسير الكلام الذي

تختلفُ معانيه، ولا يصحُّ إلَّا ببيانٍ غير لفظه" (الخليل (ت170هـ: 8/ 369)، وعندَ أهل البلاغة نجد ابنَ الأثير قد قال:" المراد بالتأويلِ: نقل ظاهر اللفظ عن وضعِه الأصلي إلى ما يحتاجُ إلى دليل، لولاه ما تُرِكَ ظاهر اللفظ" (ابن الأثير (ت 606هـ): 1 / 80، وينظر: الجرجاني (ت 816هـ)، ط1: 34)، وعندَ علماءِ الفقه والتفسير، قال الزركشي:" صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها، تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب، والسنة من طريق الاستنباط" (الزركشي (ت 794هـ)، ط1: 2 / 166.)، وعند النحويين نجد أن " التأويل إنَّما يسوغُ إذا كانَتْ الجادَّةُ على شيء، ثم جاءَ شيء يخالفُ الجادّة فيتأَول" (السيوطي (ت 911هـ)، ط1 :73 .)، وبهذا فالتأويل في العربيةِ هو توضيح الخفي بالتقدير والحذف أو بالتقديم والتأخير وما شابه ذلك، كما نجده في الشاذ من القراءات فقد" يُسْتَشْبَع ظاهر الشاذّ بادِيَ الرأي فيدفعُه التأويل" (الزركشي، ط1: 1/ 341)، وبذلك فهو إرجاع التركيب الخارج عن القياس إلى أصل مقدَّر، بحيث يظل موافقًا للقاعدة النحوية العامة، فإذا وجدوا تركيبًا يخالف (الأصل)، لجأوا إلى التقدير أو الحذف أو التقديم أو القلب، وسنأتي لأمثلته في المباحث .

2. نشأة التأويل النحوي:

عند التتبع الزمني للمصطلح عند النحاة نجد سيبويه (ت 180هـ) من أكثر النحاة استعمالا لمضامين كالتقدير من غير أن يستعمل مصطلح التأويل، إذ استعمل عبارات مثل (كأنك قلت كذا) أو (على اضمار كذا)، كقوله في باب الاشتغال: "وإن شئت قلت: زيداً ضربتُه، وإنَّما نصبهُ على إضمار فعلٍ هذا يفَّسره، كأنّك قلتَ: ضربتُ زيداً ضربتُه، إلاّ أنّهم لا يُظهِرون هذا الفعلَ هنا للاستغناءِ بتفسيره. فالاسمُ ها هنا مبني على هذا المضمَرِ." (سيبويه (ت 180هـ)، ط3: 1/ 81)، كأنما نجد التأويلات عنده أصلاً في كثير من التراكيب ، وتابعه المبرد (ت 285هـ) في تأويل نصب الاشتغال زيدا ضربته (ينظر: المبرد (ت385) :3/ 27)، كما نجد عنده التقدير نابع من الحمل على المعنى، ومنه قوله:"وَكَذَلكَ إن خبرت على هَذَا المعنى فَقلت: قيَاما...وَقد قعد الناس، وجلوسا وَالناس يسيرون وَإن شئت وضعت اسم الفَاعل في مَوضع المصدر فَقلت: أقائما وَقد قعد الناس فَإنمَا جَازَ ذَلك؛ لأَنه حَال وَالتقدير: أتثبت قَائما، فَهَذَا يدلكم على ذَلِك الْمَعْنى..."((ينظر: المبرد :3/ 229)، في حين استعمل ابن جني مصطل التأويل صراحة في قوله: " إلى أنه تثنية سبع وجعل النون حرف إعراب. وليس لك مثل هذا التأويل في هزنبزان؛ لأنه نكرة وصفة للواحد. وهذا (يبعده عن) العلمية والتثنية." (الخصائص :3/ 205)، كما استعمله الزمخشري (ت 538هـ) بكثرة في المفصل بجعل التأويل خادمًا للمعنى، ومنه قوله: " منها عسى ولها مذهبان: أحدهما أن تكون بمنزلة قارب، ... والثاني أن يكون بمنزلة قرب، ... إلا أن مرفوعها أن مع الفعل في تأويل المصدر كقولك: عسى أن يخرج زيد، في معنى قرب خروجه " (الزمخشري (ت538هـ)، ط1 : 357).

ويمكن أن أستنتج دوافع التأويل النحوي من خلال ما سبق بأنها تكمن في:

- الدافع النحوي: ضبط الظاهرة الخارجة عن القياس.
- الدافع الدلالي: وجوب مراعاة المعنى في سياق النص أو الخطاب.
- الدافع البلاغي: لابد للنص من جماليات يجب مراعاة إبرازها في الحذف والتقدير والتأخير والزيادة.

اللسانيات الإدراكية:

تعد اللسانيات الإدراكية التي يرمز لها بالمصطلح الانجليزي (Cognitive Linguistics) فرعا من فروع اللسانيات الحديثة المعاصرة تقوم على دراسة العلاقة القائمة بين اللغة والعقل، تنظر إلى اللغة بأنها ليست مجرد نظام مستقل عن العقل، بل إنها تمثل العلاقة الإدراكية التي تمثل خبرة الإنسان، وقد عرّفها عبد الرحمن بودرع بأنها " اللسانيات التي تنظر إلى اللغة بوصفها مظهراً من مظاهر النشاط العقلي الإنساني، وليست بنية شكلية مستقلة" (بودرع : 8 .)، كما بين عبدالرحمن بو درع تعريفا عن محمد الخطابي، فقال: " محاولة لفهم اللغة انطلاقًا من آليات التفكير والإدراك، لا من القواعد الشكلية فحسب " (بودرع : 13)، وهذا المفهوم الاصطلاحي لها قد يكون له علاقة بالمفهوم اللغوي فمن الدَّرَكُ، نجد إدراك الحاجة وطلبها، ومنه أسفل قعر الشيء، والدَّرَك هو واحد من أَدراك جهنم السبعة، كما هو لغة في الدَّرَك وهو من القعر، والإدراكُ هو فناء الشيء، وأَدْرَكَ الشيء إذا فني، ومنه قوله عز وجل:{بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ} [سورةالنمل: 66] أي هم جهلوا الآخرة، فلا علم لهم في أمرها(ينظر: (الخليل:5/ 327– 328، وينظر: ابن دريد (ت321) :2/ 637).

أما نشأتها:

فقد جاءت كنظرية في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، جاءت ردا على محدودية نظرية النحو التوليدي لتشومسكي التي عزلت اللغة عن المعنى والإدراك العقلي (ينظر: محمد خطابي: 11)، فبدأت الاعمال التي تعنى بها تظهر وقد تمثلت في مؤلفات جورج لاكوف ومارك جونسون في الدلالة المجازية ورونالد لانجاكر في النحو الإدراكي، وفوكونييه في المساحات الذهنية (ينظر: بودرع: 42).

وقد شكل كتاب (الاستعارات التي نحيا بها– Metaphors We Live By) للاكوف ومارك جونسون الذي صدر سنة م1980 نقطة مهمة لتطويرها، فركز على أنّ التفكير الإنساني يقوم على مفاهيم متأصلة في مشاعره، وليست مجرد زينة لغوية (ينظر: لاكوف وجونسون: 21).

وفي عام 2002م شهدت تطورا على يد فوكونييه وتيرنر (2002)، اللذان أسسا منها نظرية الدمج التصوري وهي تقوم على بيان كيفية انتاج العقل تراكيب ومعنوية جديدة من خلال خليط من التصورات المعرفية المتباعدة (فوكونييه وتيرنر: 35).

أما عند العرب فأول ما بدأ في مطلع الألفية الثالثة، فقد ترجم محمد خطابي ومحمد غاليم بعض أعمال لاكوف وجونسون، وظهرت دراسات تنظيرية مثل كتاب عبد الرحمن بودرع اللسانيات الإدراكية: المفاهيم والآفاق (ينظر: خطابي: 88.).

وتطرق عبد القادر الفاسي الفهري لجوانب إدراكية في النحو العربي حين ربط المعنى بالبنية في مشروعه حول النحو العربي الوظيفي (ينظر: الفاسي الفهري: 123.).

ومن ذلك يتبين لنا مفهوم اللسانيات الادراكية بأنها تقوم على فكرة أن اللغة مرتبطة بثنائية العقل والإدراك، وأن المعنى لا يمكن أن ينفصل عن التجربة الإنسانية، فضلا عن أن البنى اللغوية ليست قواعد شكلية فحسب، بل هي انعكاس لتصورات ذهنية.

أما المفاهيم التي تقوم عليها اللسانيات الإدراكية، فهي:

1. المعنى التجسدي المفهومي: وهذا المفهوم يعد اللغة انعكاسا للتصوّر العقلي، وأن المعاني لا تستوعب أو تفهم إلا في بنية مفهومية شاملة (ينظر: محمد خطابي:54.) ومبدأ التجسّد يقصد به أن الفكر الإنساني متجذر في الخبرات الحسية والحركية لجسد الانسان، ومن الأمثلة على ذلك:
قرب – بعد، فوق– تحت ، وداخل – خارج مثل هذه الألفاظ تأخذ دلالتها الفعلية من خلال التفاعل الجسدي مع العالم الخارجي المادي، وبذلك فاللغة تعكس البنى الإدراكية المرتبطة بالتجربة المعيشة (ينظر: لاكوف وجونسون: 25–27.)، ومثل قولنا : (رفع من شأنه) فهذا التركيب يقابل تجربة حسية متجذرة أو متجسدة بمعنى العلو المادي الذي يعد رمزا للقيمة والاحترام.

2– الاستعارة الذهنية أو التصورية (Conceptual Metaphor): وهو طريقة من طرق المعرفة يعمل على نقل الخبرات من مجالها الحسي الملموس إلى مجال آخر معنوي مجرد مثال ذلك قولهم (الحياة طريق)، فهنا قد تمت الاحالة الى معنى الاستقامة والاعتدال والاحرام من اللفظ الادراكي الحسي الملموس وهو الطريق العدل الذي نسير به ويجنبا من المخاطر، فقد بنى المعنى بالاستناد على الاستعارة الإدراكية (ينظر: لاكوف وجونسون: 45)، وهو ضرب من الاستعارة تنقل مفهوم اللفظ من حقيقة إلى مجاز أو مجال مصدر إلى مجال هدف، فحين نقول و(الوقت مال أو الزمان مال)، نفهم طبيعة الزمن من خلال مجال اقتصادي، وهذا ما أوضحه واعتنى به لايكوف

وجونسون وبين أن التفكير الإنساني يكمن في الاستعارات التصورية، والتي تقوم بتنظيم المفاهيم المجردة (ينظر: لاكوف وجونسون:42- 46) .

3- الصور -النماذج أو المخططات الصورية (Image Schemas): وهي أنماط معرفية إدراكية بسيطة تتحكم في فهمنا للتراكيب وناتجة عن التجربة الجسدية تعمل على تنظيم المفاهيم، مثل (المسار، والحاوية، والتوازن) ، مثال ذلك قولنا (خرج الولد من المشكلة) فهذا يستند إلى تنظيم مخطط قائم على (الداخل/الخارج) (ينظر :مارك جونسون: 89-92.).

4- النموذج المركزي أو النماذج النموذجية (Categorization & Prototypes): ويقصد به المفاهيم الاستنتاجية التي تنبني حول أمثلة نمطية لا تقوم على حدود صارمة (ينظر: بودرع: 59) ، فيرى الإدراكيون أن ترتيب المفاهيم في عقل الانسان يتم عبر (نماذج نموذجية)، وذلك أن الفئة من أي جنس تحدد بالاسم الذي شكل أكثر عناصرها تمثيلاً، مثال ذلك كلمة (طائر) يفهم نموذجه على هيئة (عصفور) أكثر من نموذجه على هيئة (بطريق) (ينظر: لانغاكر: 73-75.).

5- المنهج الاستعمالي (Usage-Based): وهذا المنهج يفسّر لنا القواعد المتراكمة بسبب تكرار الاستعمال لا عن قواعد فطرية مستقلة (ينظر: محمد غاليم: 112) .

6- الفضاءات الذهنية (Mental Spaces) والإطار المعرفي والتصوّر (Frame & Construal): كما عند Fauconnier، فالفضاءات الذهنية تساعدنا على فهم العلاقات بين مكونات الجملة والمعاني التي تؤديها، في حين أن الاقتصاد المعرفي، يساعدنا على تفسير ظاهرة الحذف والاختصار بوصفه كونه يوفر الجهد الذهني، فالإطار المعرفي هو الذي ينظم المعنى داخل الذهن مما يساعد على تطوير الخبرة البشرية. أما التصور فيساعد المتكلم على ابراز جانبا من الحدث دون حدث آخر، مثال ذلك التركيب في قولنا:(كسرتُ الزجاج بالمطرقة) وقولنا (المطرقة كسرت الزجاج) كل من التركيبين يعطي الحدث نفسه، لكن التصوّر الإدراكي لوحدات كل تركيب يختلف من حيث الإبراز (ينظر: كمال بخوش: 121-123).

3. علاقة اللسانيات الإدراكية بالنحو:

النحو من منظور اللسانيات الإدراكية ليس ضربا من القواعد التي تضبط اللسان فحسب، بل هو تمثيل للواقع الذهني لمدارك الخبرة والمعنى، فالتركيب النحوية من منظور اللسانيات الادراكية تمثل العلاقة الإدراكية بين الفاعل والفعل والمفعول...، لذلك يقول لانغكر: "النحو هو علم بكيفية تمثيل المفاهيم في الذهن أثناء إنتاج الجمل"

(رونالد لانغكر: ٤٥.) ، وهذا ما نلتمسه حتى في سبب وضع النحو، لأن الإعراب معنى وكل حركة تؤدي إلى تغيير ذلك المعنى، بين الزبيدي أن العرب ولم تزل تتكلم على فطرتها وسجيتها في أوائل صدر إسلامها وفي ماضي ايام جاهليتها؛ إلى أن أظهر الله دين الإسلام على الأديان والأمم، فدخلوا فيه من كل حوب وصوب، واجتمعت فيه من الألسنة المتفرقة، ومن اللغات المختلفة، وحتى فشا الفساد في والعربية، ثم استبان في الإعراب، فوضعوا له أبوابًا، ثم أصَّلوا له أصولًا، فتم ذكر عوامل الرَّفْع والخفض والنصب والجزم، كما وضعوا باب الفاعل وغيره (ينظر: الزبيدي (379هـ)، ط2: 11) ، فالإعراب هو الموضح للمعنى في التركيب ويبين لنا فاعل الفعل ومن وقع عليه الفعل، فضلا عن المعاني الادراكية المستوحاة من التقديم المتأخر والحذف والزيادة وغيرها وهذا ما سنجده جلينا في المباحث فهذه كلها تعد وسيلة من وسائل الإدراك التي تحتاج إلى تأويل كونها مقترنة بالمفهوم العقلي.

المبحث الثاني

بين التأويل النحوي واللسانيات الادراكية أمثلة مختارة من مظاهر التأويل في القرآن الكريم

إن ما يسميه النحاة (تأويلا أو تقديرا) يمكن تفسيره باعتباره آلية إدراكية ذهنية، تستكشف من خلال ما يأتي:

أولًا: التأويل بالحذف في ضوء اللسانيات الادراكية، نماذج من القرآن الكريم:

الحذف في القرآن الكريم لم يكن إلا لمعنى يؤديه ، وبين الجرجاني أنه باب يعد دقيق المسلك، ولطيف المأخذ، وعجيب أمره، ، وشبيه بالسحر، ، وإن ترك الذِكر، أفصح من الذكرِ، كما أن الصمت عن الإفادةِ، يعد أزيد للإفادة، وتجد نفسك أنطق ما تكون وذلك إذا لم تنطِق، وتجد نفسك أتم بياناً إذا لم تبن (ينظر: الجرجاني (471هـ) :1/ 146) ، هذا الحذف في كلام العرب وغيره كيف لا وعندنا الحذف في أوج مدارج الفصاحة وهو القرآن الكريم، فالأصل في أنواع الحذف جميعها هو أن يشتمل الكلام على ما يؤول العنصر المحذوف في الجملة، وإلا عُدَّ الحذف لغوًا لا مسوّغ له. ومن شروط الحذف البليغ أن يؤدي إظهار المحذوف إلى إضعاف جمال الكلام وفقدان ما فيه من عذوبة وحسن. وقد يُعرف المحذوف من خلال الإعراب، مثل قولنا: (أهلًا وسهلًا)، إذ يدل نصب الكلمتين على عامل محذوف، غير أنّ هذا النوع أقل جمالًا من الحذف الذي لا يُدرك بالإعراب، وإنما يُفهم ذلك من تمام المعنى والسياق، كقولنا:(فلان يحلّ ويعقد)، أي يحلّ الأمور ويعقدها. فالحذف الذي يظهر أثره بالإعراب يكثر في المفردات، أمّا الذي يُفهم من دلالة المعنى فيكثر في الجمل. (ينظر: ابن الاثير (637هـ): 2/ 77).

ومن أمثلة الحذف في القرآن الكريم:

1 – قوله تعالى: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا} [يوسف: 82].

المضاف عند النحاة يحذف إذا لم يحدث لبس ويمكن عده اقتصادا ادراكيا معرفيا، قال ابن يعيش: ((وإذا أمنوا الإلباس، حذفوا المضاف، وأقاموا المضاف إليه مقامه وأعربوه بإعرابه. والعلم فيه قوله تعالى: {واسأل القرية}؛ لأنه لا يلبس أن المسؤول أهلها لا هي)) (الزمخشري،ط1 :2/ 190) ، فقاعدة الحذف عند النحاة مبنية على دليل عقلي ذهني يتم ادراكه من خلال السياق والمعنى الذي يُفسَّر، فطبيعيا أن الذهن لا يتوجه إلى المكان بوصفه جمادا بل يستدعي الجانب المعرفي المرتبط بهذا المكان وهو أهلها، وفي سياق الحذف في الآية الكريمة بين الطبري ذلك المحذوف فقال الطبري: ((قَوْلِهِ: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ} [يوسف: 82] ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ: وَاسْأَلْ أَهْلَ الْقَرْيَةِ، وَانْتَصَبَتِ الْقَرْيَةُ بِانْتِصَابِ الْأَهْلِ وَقَامَتْ مَقَامَهُ)) (الطبري (ت 310هـ)،ط1 :9/ 60) ، طبيعة الحذف هنا للإيجاز ولأن السياق يدل عليه، والجانب الادراك المتعلق بالذهن منطقيا يدل على أن القرية لا تُسأل؛ لأنها مكان وهو جامد لا عقل له ، وطبيعة السؤال تتوجه لعاقل وليس لجامد غير عاقل، لذلك فإن السؤال هنا متوجه للأهل القرية وليس للقرية وهذا يبين ادراكا؛ لذلك جاء تقدير (أهل) لتتحقق تلك الفائدة المعنوية المبنية على الادراك العقلي، وحجتهم بذلك عدم حدوث اللبس، قال العكبري: ((قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ) : أَيْ أَهْلَ الْقَرْيَةِ ; وَجَازَ حَذْفُ الْمُضَافِ ; لِأَنَّ الْمَعْنَى لَا يَلْتَبِسُ.)) (العكبري (ت 616هـ): 2/ 742)، ومن خلال ما سبق أرى أن ذلك ايجاز واقتصاد معرفي مبني على العقل في إدراك المفهوم الحقيقي، كما يمكن تسميته بالإنجاز المفهومي؛ كون الجزء يحيل إلى الكل، فالإدراك العقلي هو الذي يقوم بالاسترجاع التلقائي لبيان ذلك العنصر المحذوف من دون الحاجة إلى ذكره، وهذا أيضا يحقق لنا مبدأ المعقولية الادراكية، فالذهب يعمل بمبدأ المعقولية ولذلك جاءت تقديرات العلماء في بيان المحذوف بأنه (اهل).

2– قوله تعالى: {وَأُشْرِبُوا فِي قُلوبِهِمُ العِجلَ} (سورة البقرة: الآية93).

قال الطبري: ((تَأْوِيلُ مَنْ قَالَ: وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ حُبَّ الْعِجْلِ؛ لِأَنَّ الْمَاءَ لَا يُقَالُ مِنْهُ: أُشْرِبَ فُلَانٌ فِي قَلْبِهِ، وَإِنَّمَا يُقَالُ ذَلِكَ فِي حُبِّ الشَّيْءِ، فَيُقَالُ مِنْهُ: أُشْرِبَ قَلْبُ فُلَانٍ حُبُّ كَذَا، بِمَعْنَى سُقِيَ ذَلِكَ حَتَّى غَلَبَ عَلَيْهِ وَخَالَطَ قَلْبَهُ)) (الطبري ، ط1 : 2/ 265) ، فالإدراك العقلي يبين لنا أن العجل لا يتم شربه وهذا أمر منطقي؛ لذلك يفهم ذهنيا وادراكيا تقدير (حب)؛ ليستقيم المعنى ويكون مألوفا للعقل والادراك، كون عملية الحذف عند النحاة مبنية على جواز ((حذف المضاف للعلم به، والأكثر حينئذ أن يخلفه المضاف إليه في الإعراب نحو: {وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ}، أي: حب العجل.)) (المرادي (749هـ)، ط1 :2/ 819)، فعملية الحذف تمت؛ كونها واضحة ذهنيا، فالحذف مبني على المعنى الذي هو ((أُدْخِلَ فِي قُلُوبِهِمْ حُبُّ الْعَجَلِ وَخَالَطَهَا)) (البغوي (510هـ)، ط1: 1/ 143)' وسر ذلك الحذف بسبب تعلقهم بالعجل، قال البيضاوي: ((وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم

صورته، لفرط شغفهم به، كما يتداخل الصبغ الثوب، والشراب أعماق البدن. وفي قلوبهم: بيان لمكان الإشراب ... وذلك لأنهم كانوا مجسمة، أو حلولية ولم يروا جسماً أعجب منه، فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري)) (البيضاوي، ط1: 1/ 94)، لذلك تم ادراك المحذوف عقليا في الذهن.

3 – قوله تعالى:{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ...}[سورة المائدة: الآية 106].

يظهر التركيب هنا بكونه يمثل آلية من اليات الادراك العقلي، قال الأخفش:((وقال: {شَهَادَةُ بَيْنِكُم}، ثم قال:{اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ}، أي:شهادة بينِكم شهادةُ اثنين، فلما القى "الشهادة" قام "الاثنان" مقامها وارتفعا بارتفاعها كما قال:{وَسئَلِ الْقَرْيَةَ}، يريد:أَهْلَ القريةِ، وانتصب (القريةَ) بانتصاب (الأَهل)، وقامت مقامه، ثم عطف:{أَوْآخَرَانِ}، على (الاثنين).)) (الأخفش :1/ 290) ، فعندما تقدم في السياق الحديث عن الشهادة ترك ذكرها مع الاثنان؛ لما فيها من ادراك عقلي واضح وبين ف (الاثنان) في الاصل مضاف إليه لمضاف محذوف والتقدير (شهادة اثنين)، قال الطبري:((وَقَوْلَهُ: {اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ}[سورة المائدة: الآية106]، فَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّي الْبَصْرَةِ:مَعْنَى قَوْلِهِ: {شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ}[سورة المائدة: 106]، شَهَادَةُ اثْنَيْنِ ذَوِي عَدْلٍ، ثُمَّ أُلْقِيَتِ الشَّهَادَةُ وَأُقِيمَ الِاثْنَانِ مَقَامَهَا، فَارْتَفَعَا بِمَا كَانَتِ الشَّهَادَةُ بِهِ مُرْتَفِعَةً لَوْ جُعِلَتْ فِي الْكَلَامِ، قَالَ: وَذَلِكَ، فِي حذفِ مَا حُذِفَ مِنْهُ وَإِقَامَةِ مَا أُقِيمَ مَقَامَ الْمَحْذُوفِ)) (الطبري ، ط1 :9/ 60) ، فالحذف في (شهادة) يتضح ادراكه عقليا من السياق، فيتم ادراكه من خلال حضوره بقوة في الوعي؛ بسبب تقدمه في السياق؛ وتم ذلك ليعبر به عن فصاحة الأسلوب وبلاغته، ووجه الزجاج الرفع على تقدير فعل من جنس الشهادة، فقال: ((ويجوز أن يكون رفع (شهادةُ بينِكم) على قوله وفِيما فرض الله عليكم في شهادتكم أن يشهد اثنان، فيرتفع اثنان بشهادة، والمعنى أن يشهد اثنان، فيرتفع اثنان بشهادة، والمعنى أ، يشهد اثنان ذوا عَدْل منكم.)) (الزجاج (311هـ)، ط1 :2/ 215) ، فالرفع عند الزجاج على تأويل (يشهد اثنان)، كما قدر البغوي الفعل يشهد (ينظر: البغوي (510هـ)، ط1: 3/ 111) ، وأدرك الزمخشري تأولين لهذا الاقتصاد الادراكي المتمثل بالمحذوف ، فقال: ((ارتفع اثنان على أنه خبر للمبتدأ الذي هو شَهادَةُ بَيْنِكُمْ على تقدير: شهادة بينكم شهادة اثنين. أو على أنه فاعل شهادة بينكم على معنى: فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان)) (الزمخشري، ط3: 1/ 687) ، وبذلك فالرفع في (اثنان) وجهه العلماء على التأولين اللذين ذكرهما الزمخشري فكل منهم يرى بعقله الراجح ما يدركه ليتوافق مع القاعدة وكلا التوجيهين صائب ويتوافق مع القاعدة التي أدرك من خلالها ما يراه مناسبا فالاسم شهادة والفعل الذي اشتق منه يشهد كلاهما في المعنى نفسه الذي يدركه العقل ويراه مناسبا.

ثانيا : التأويل بالتقديم والتأخير في ضوء اللسانيات الادراكية، نماذج من القرآن الكريم:

وقد أولى علماء العربية بحسهم العقلي وفكرهم الثاقب التقديم والتأخير عناية فائقة ، قال سيبويه: ((إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أغنى، وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم.)) ((سيبويه: 1/ 34) ، وقد أدرك الجرجاني ذلك ولم يخرجه عن العناية والاهتمام، بل خصص له بابا، فقال: ((التقديم للعناية والاهتمام:... واعلمْ أنَّا لم نَجدْهُم اعْتَمدوا فيه شيئاً يَجري مَجرى الأَصْل، غيرَ العنايةِ والاهتمامِ)) (الجرجاني:1/ 107.).

ويمكن ذلك في النماذج القرآنية الآتية:

1 – تقديم الخبر على المبتدأ:

قَالَ تَعَالَى: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التغابن: 1]

فقد أدرك الكثير من العلماء بعقولهم الثاقبة بيان سبب تقديم الخبر (لـه) وعلى المبتدأ (الملك) وتقديم الخبر (لـه) على المبتدأ (الحمد) وقد بينوا أن الأصل فيه هو تعريف المبتدأ والخبر يتم تنكيره؛ لأنه المبتدأ معلوم للمخاطب، في حين الخبر مجهول للمخاطب؛ ولذلك لم يستسغ الابتداء بالاسم النكرة إلا بشرط حصول الفائدة، وهي إما أن يقدم الخبر عليها نحو (عند زيد نمرة) أو جار ومجرور نحو: {لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ} [الزخرف:73]...(ينظر: ابن الجوزية (767 هـ)، ط1 :1/ 172) ، وحاصل ذلك أن تقديم الخبر في الآية الكريم جاء لفائدة، وقد أدرك ذلك الزمخشري بقوله: ((قدم الظرفان؛ ليدل تقديمهما على اختصاص الملك، والحمد بالله عز وجل؛ وذلك لأنّ الملك على الحقيقة لـه؛ لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه، والقائم به، والمهيمن عليه، وكذلك الحمد؛ لأنّ أصول النعم وفروعها منه.وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء، وحمده اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ يعنى: فمنكم آت بالكفر وفاعل لـه)) (الزمخشري (538هـ)، ط3 :4/ 545) ، كما أكد على ذلك البيضاوي بذهنه الفذ، فقال:((قدم الظرفين؛ للدلالة على اختصاص الأمرين به، من حيث الحقيقة، وهو عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ لأن نسبة ذاته المقتضية، للقدرة إلى الكل على حد سواء)) (البيضاوي (ت 685هـ)، ط1 :5/ 217) ، فادراك سبب التقديم لم يتركه العلماء؛ لأن كل ما خالف القاعدة الأصلية فبه دلالة لا محال، ودلالة تقديم شبه الجملة (له) في الآية الكريمة (لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ) كون الحمد والملك يتعلق بالله وحده فقدم المخصوص وهو الأهم لذلك تُقدِّم الظرفان؛ للدلالة على اختصاص الملك، والحمد بالله تعالى وحده؛ فالملك الحقيقي له سبحانه؛ لأنه خالق كل شيء والقائم عليه والمدبّر لـه. وكذلك الحمد مختص به، لأن جميع النعم، أصولها وفروعها، صادرة منه جلّ وعلا، أمّا ما يُنسب إلى غيره من ملك فليس إلا تمكينًا وتسليطًا من الله، وما يُوجَّه إلى غيره من حمد فإنما هو باعتبار أنّ نعم الله قد جرت على يديه (ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل : 3/ 490) .

2– تقديم المفعول به على الفاعل:

قال ابن الوراق: ((فإن قال قائل:فهلا اقتصروا هم على أن يكون الفاعل متقدما على المفعول، ثم استغنوا عن الإعراب؟، قيل له:لو فعلوا هذا، لضاق الكلام عليهم، وفي كلامهم الشّعر الموزون، ولا بد أن يقع فيه تقديم وتأخير؛ لينتظم وزنه، فجعلوا للفاعل علامة يعرف بها أين وقع؟، وكذلك المفعول، فأما إذ كانت الأسماء لا يتبيّن فيها الإعراب، فالواجب هو أن يكون الفاعل المقدم، والمفعول المؤخر، كقولك:ضرب موسى عيسى، فإن نعت أحدهما بما يتبيّن فيه الإعراب جاز التّقديم والتّأخير، وذلك لزوال اللّبس، نحو:ضرب عيسى الظريف موسى، ، ...)) (علل النحو : 270) ، فالأصل أن يأتي الفعل ثم الفاعل ثم المفعول به، نحو قولنا (أضاف خالد سعيدًا) وهذا التعبير هو الطبيعي الذي يمثل الأصل اللغوي، وهو يقال عندما يكون المخاطب خالي الذهن من الخبر، فإن وفي حصول أي تغيير في هذا التقديم فإنما يكون لغرض ما، وهذا يعود الجانب الادراكي العقلي في مجال الاهتمام والعناية كسائر مواطن التقديم، وهذا ما سنلاحظه من خلال نماذج التقديم والتأخير في النص القرآني، ومنها:

أ- تقديم المفعول به على الفاعل، في قوله تعالى: {إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله} {آل عمران: 140}.

جاء في النص القرآني تأخير الفاعل (قرح) وتقديم المفعول به (القوم) في (فقد مس القوم قرح)، جاءت هذه الآية؛ لتوصف حال المؤمنين في معركة أحد فقد أصاب المسلمين فيها أذى شديد، وقتل فيها كثير من المسلمين، حتى شج وجه رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) فانزل الله هذه الآيات لمواساة المسلمين ليخفف عنهم الحزن الذي أصابهم (ينظر: البغوي، ط1: 1/ 513) ، قال الزمخشري: "وقيل:كان ذلك يوم أحد، فقد نالوا منهم، قبل أن يخالفوا أمر رسول اللّه(صلى اللّه عليه وسلم)، فإن قلت:كيف قيل (قَرْحٌ مِثْلُهُ)وما كان قرحهم يوم أحد مثل قرح المشركين؟، قلت:بلى كان مثله، ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار." (الزمخشري ، ط1:3/ 418) ، فتقديم المفعول به (القوم) وهم الكفار، على (قرح) ليخفف عن كاهل المسلمين وخسارتهم، وهذا ما أدركه السامرائي في بيان علة التقديم: ((أخبرهم أن القرح والأذى لم يصبهم وحدهم إنما أصاب أعداءهم أيضا وقدم العدو؛ لأنه هو الذي يعني المسلمين ههنا، إذ ليس المهم القرح، وإنما المهم من أصاب، فقدم القوم؛ لأن أصابه هؤلاء بأعينهم هو الذي يواسي المسلمين، ويخفف عنهم الحزن.)) (معاني النحو :2/ 56)، كما فيه بيان تأدب للمسلمين للالتزام بأوامر الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ((فإن المسلمين نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر الرسول صلّى الله عليه وسلّم. وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى)) (البيضاوي، ط1:2/ 40) ، فالخطاب تطلب أن يتواءم مع طابع المساواة فعندما قال (إن يمسسكم قرح) فقدم المفعول به الضمير الكاف العائد على المسلمين، لغرض المساواة أدركه بالجواب (فقد مس القوم قرح) وتقديم المفعول به في كلي الموضعين للاهتمام والعناية، فلحظة ادراك الموقف تطلبت أن يكون تنوع الخطاب، إن كان مع المسلمين استعمل الضمير (الكاف)؛ لقرب قلوبهم ونفوسهم وذاتهم من الله تعالى في حين عن الكافرين استعمل (قوم)؛ لبعدهم عنه.

ب: تقديم المفعول به على الفعل والفاعل، ومنه: قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (الفاتحة: 5).

جاء تقديم المفعول به (إياك) على الفعل والفاعل المستتر في (نعبد) وفي نستعين، فماذا يفهم من تقديم المفعول به أولا ثم ماذا يفهم من هذا الترتيب في تقديم العبادة (نعبد) على الاستعانة(نستعين)؟.

إن البدء بالمفعول به الضمير المنفصل (إياك)، يُنشيء من أول وهلة في وعي المتلقي صورة ذهنية تتمثل بالمخصوص (الله) عز وجل، وتدور حولها حولها أفعالها، الخطاب يدور بين نبينا الكريم والله عز وجل، قال الأخفش: "وذلك أن الله تبارك وتعالى خاطب النبي(صلى الله عليه وسلم)، فقال:قل يا محمد:(الحمدُ لله)، وقل:(الحمدُ لمالكِ يوم الدين)، وقل يا محمد: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، وأما قوله:{إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، ولم يقل:(أنت نعبد)؛ لان هذا موضع نصب."(معانى القرآن :1/ 15)، فالخطاب يدور حول من المقصود بالفعل (نعبد ونستعين)؟، وهو المتمثل بالضمير المنفصل (اياك) هو الله عز وجل وهذا على سبيل التخصيص ((والابتداء بذكر المعبود، أتمّ من الابتداء بذكر صفته– التي هي عبادته واستعانته، وهذه الصيغة أجزل في اللفظ، وأعذب في السمع، والعبادة الإتيان بغاية ما في(بابها)من الخضوع، ويكون ذلك بموافقة الأمر، والوقوف حيثما وقف الشرع، والاستعانة طلب الإعانة من الحق، والعبادة تشير إلى بذل الجهد والمنّة، والاستعانة تخبر عن استجلاب الطول والمنّة، فبالعبادة يظهر شرف العبد، وبالاستعانة يحصل اللطف للعبد، فى العبادة وجود شرفه، وبالاستعانة أمان تلفه. والعبادة ظاهرها تذلل)) (لطائف الإشارات :1/ 48) ، فما يُفهم من تقديم المفعول به (إياك) هو الحصر والتوكيد، وهو ليس مجرد حصر معنوي أو بلاغي وإنما حصر تصوري مركزي إذ تدور اللحظة الادراكية حول مرجع واحد لا يترك مجالا لتوسيع العبادة او الاستعانة خارج نطاق هذا المركز وإنما تتطلب تفرد أفعال العبادة والاستعانة به دون سواه، قال السامرائي: ((فقوله تعالى (إياك نعبد) معناه نخصك بالعبادة، ألا ترى إلى قوله تعالى: {إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم}[سورة الفاتحة: 5 – 6]، كيف قدم المفعول في العبادة والاستعانة، لا نعبد أحدا إلا إياك، ولا نستعين أحدا إلا إياك)) (معاني النحو :2/ 87– 88)، فضلا عن ذلك ما إن ما يتم ادراكه من منظور الخبرة البشرية في بيان السبب وراء تقديم جملة العبادة على الاستعانة، ندرك عقليا أن الانسان عندما يقع في ضيق مالي أو غيره فإنه يطلب حاجته من شخص قريب منه، ومعنى العبادة هي صلة العبد بربه؛ لذلك قدم (إياك نعبد) ليتم استحسان تحقيق الاستعانة في قوله (وإياك نستعين)، فمن غير المعقول أن تطلب من شخص وأنت لا تربطك به صلة أو معرفة، فيجب أن تقوي صلتك بالله أولا ثم ذلك تستعين به.

وبذلك فما دار بين التركيب النحوي والادراك العقلي له لم يكن اعتباطيا بل ، بل أن ترتيب الجملة جاء ليعكس التصور الإيماني وتخصيص العبادة لله وحده وترسيخ ذلك كله في العقل البشري .

ثالثا: المجاز التركيبي في القرآن الكريم

عند النظر إلى المجاز التركيبي في القرآن باللسانيات الإدراكية، نجد أن استعمال إسنادٍ أو تركيب جملة في غير موضعها الأصلي بناءً على علاقة مشابهة ذهنية (استعارة مفاهيمية) أو ملابسة (مجاز عقلي)، ((أريد بالمجاز استعمال اللّفظ في غير موضعه فالمحذوف ليس كذلك؛ لعدم استعـ ماله وإن أريد بالمجاز إسناد الفعل إلى غيره–وهو المجاز العقلي– فالحذف كذلك.)) ((الزركشي: 3/ 104) ، فالمجاز التركيبي يستعمل لنقل المعنى من الحقيقي إلى التصويري الذهني، وفي القرآن الكريم تجد تراكيب لغوية جاءت لمعنى غير المعنى الحرفي للكلمات الموضوعة لها.

ومن أمثلته في القرآن الكريم:

– قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا } [مريم: 4]

نجد هنا أن الاستعارة قد لعبت دورا مهما في التركيب (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) وهو منكون من ((المـ ستعار الاشتعال، المستعار مِنْهُ النَّارُ، وَالْمُسْتَعَارُ لَهُ الشَّيْبُ، وَالْجَامِعُ بَيْنَ الْمُسـ تَعَارِ مِنْهُ وَالمُسـ تَعَارِ لَهُ مُشَابَهَةُ ضَوْءِ النَّهَارِ لِبَيَاضِ الشَّيْبِ، وَفَائِدَةُ ذَلِكَ وَحِكْمَتُهُ وَصْفُ مَا هُوَ أَخْفَى بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا هُوَ أَظْهَرُ. وَأَصْلُ الْكَلَامِ أَنْ يُقَالَ: وَاشْتَعَلَ شَيْبُ الرَّأْسِ وَإِنَّمَا قَلَبَ لِلْمُبَالَغَةِ لِأَنَّهُ يُسْتَفَادُ مِنْهُ عُمُومُ الشَّيْبِ لِجَمِيعِ الرَّأْسِ وَلَوْ جَاءَ الْكَلَامُ عَلَى وَجْهِهِ لَمْ يُفِدْ ذَلِكَ الْعُمُومَ.)) ((الزركشي : 3/ 435) ، فالأصل في الاشتعال هو في الحطب وما شابهه ولكن اسناده إلى الرأس من باب التشبيه وبلاغيا هو ((استعارة؛ لأن الاشتعال للنار ولم يوضع في أصل اللغة للشيب فلما نقل إليه بان المعنى لما اكتسبه من التشبيه؛ لأن الشيب لما كان يأخذ في الرأس ويسعى فيه شيئاً فشيئاً حتى يحيله إلى غير لو نـه الأول كان بمنزلة النار التي تشتعل في الخشب)) (الخفاجي، ط1: 118) ، وادراكيا نجد الذهن لا يقبل أن يكون الاشتعال في الرأي إلا من باب المجاز والتركيب نحويا فسر لنا أن التمييز (شيبا) جاء محولا عن الفاعل فالأصل وهو (اشْتَعَلَ شَيْبُ الرَّأْسِ)، فضلا عن كون التركيب لا يصف مجرد تغيّر لوني، بل يبني مشهدًا إدراكيا ديناميكيا، إذ حوّل الصورة من طاقة مادية (نار) إلى طاقة زمنية (شيخوخة)، ((نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع للبيان ... وليس يخفى على المتأمل أن قوله عز اسمه: {وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً}، أبلغ من كثير شيب الرأس وهو حقيقة هذا المعنى)) (الخفاجي(ت466)، ط1 : 118–119) ، ويحقق لنا اعادة تأطير فالسامع يتلقى في بداية الأمر صورة الاشتعال، ثم يُعاد توجيه الإدراك إلى أن الاشتعال شيبٌ لا نار.

– وفي قوله تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} (الإسراء: 24) .

فحمل تركيب الجملة الفعلية (اخفض لهما جناح الذل) على غير معناها الأصلي؛ لتدل على غرض بلاغي، ((فإنّه يستحِيل حمله على الظّاهِرِ لِاستِحالةِ أن يكون آدميٌّ له أجنِحةٌ فيحمل على الخضوعِ وحسن الخلق)) ((الزركشي :2/ 206) ، وادراكيا نجد العقل يصور الانسان البار بوالديه كالطائر الذي يخفض جناحيه، فالمعنى الحرفي للتركيب يستحيل ذلك إذ ليس للذل جناح، فالمعنى على المجاز ((أي أَلِنْ لهما جانبك مُتَذَلِّلاً لهما، من

مبالغتك في الرحمة لهما.)) (الزجاج ، ط1: 3/ 235) ، فإسقاط خصائص السلوك الحيواني (الطائر مع أفراخه) على السلوك الإنساني؛ لمقاربة درجة الانكسار باحترام الوالدين والتذلل لهما ((واخفض لهما جناح الذل من الرحمة بكسر الذال ومعنى الضم كن لهما بمنزلة الذليل المقهور إكراما وإعظاما وتبجيلا)) (الأخفش :4/ 141)، وهذا التمثيل التجسيدي جاء لتحويل القيمة الأخلاقية إلى هيئة جسدية.

الخاتمة

من أهم النتائج التي توصل لها البحث لاسيما في الجانب التطبيقي هي:

- وقد أظهر التحليل أن تقدير (أهل) في قوله تعالى: {واسأل القرية}، وتقدير (حب) في {وأُشربوا في قلوبهم العجل}، وتقدير (شهادة اثنين) أو (يشهد اثنان) في آية المائدة، كلّها عمليات استرجاع ذهني تلقائي، ينهض بها العقل استجابةً لمبدأ المعقولية الإدراكية، واقتصاد الجهد المعرفي.
- وجدنا أن المعقولية هي الشرط الأساس للتقدير، إذ لا يُقدَّر المحذوف إلا إذا اقتضاه العقل والسياق، وهو ما يعبّر عنه بعدم وقوع اللبس.
- وقد تبين من خلال النماذج القرآنية أن التأويل بالتقديم والتأخير يتجاوز حدود كونه توجيهًا إعرابيًا، ليصبح جانبا إدراكيًا يقوم على إعادة ترتيب التركيب بما ينسجم مع قصدية الخطاب وسياقه النفسي والمعرفي.
- من أمثلة التقديم وجدت أن تقديم الخبر على المبتدأ، أو تقديم المفعول به على الفاعل، يمثل آلية لإبراز العنصر الأشد حضورًا في الوعي، أو الأكثر اتصالًا بالحالة النفسية للمتلقي، أو الأليق بمقام التخصيص والمواساة أو التقريع. فقوله تعالى: {لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ} يقدّم شبه الجملة لبناء بؤرة اختصاص، بينما في {فقد مس القوم قرح مثله} يُقدَّم ما يواسي المخاطب ويخفف أثر الصدمة النفسية.
- وجدت أن المجاز التركيبي في القرآن لا يقتصر على الزينة البلاغية، بل يمثل جوانب إدراكية تحويل المجرد إلى محسوس، والمشهد الخفي إلى مشهد بصري حركي، وهذا يعمّق الأثر النفسي ويزيد من تكثيف الدلالة في أقل تركيب.
- المجاز التركيبي سواء أكان استعارة إسنادية أو مجازًا عقليا، نجده يقوم على نقل العلاقة من مجال محسوس إلى مجال معنوي عبر آلية إسقاط مفاهيمي، ويتجلى ذلك بوضوح في قوله تعالى: {وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا}، إذ نُقل الاشتعال من مجال النار إلى مجال الشيخوخة، فانبنى مشهد ديناميكي لا يصف تغير اللون فحسب، بل يصوّر انتشار الشيب واستغراقه كما تستغرق النار الحطب.

المصادر والمراجع

إبراهيم بن السري، أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب–بيروت، معاني القرآن وإعرابه، ط1، 1408هـ– 1988م.

ابن الجوزية، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن قيم الجوزية (المتوفى 767 هـ)، المحقق: د. محمد السهلي، قسم من هذا الكتاب: هو أطروحة دكتوراة للمحقق، أضواء السلف – الرياض، إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ط1، 1373 هـ – 1954 م.

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، جمهرة اللغة، ط1، 1987م .

أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : 616هـ)، المحقق : علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه التبيان في إعراب القرآن، .

أبو محمد بدر الدين المرادي (ت: 749هـ)، شرح وتحقيق : عبدالرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، دار الفكر العربي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ط1، 1428هـ – 2008م.

أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الخصائص، ط4.

أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ)، المحقق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية– الدار النموذجية، دلائل الإعجاز في علم المعاني.

أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، ط1، 1420 هـ.

أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: 215هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، معانى القرآن ، ط1، 1411 هـ – 1990 م .

أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، المحقق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، المفصل في صنعة الإعراب، ط1، 1993م.

أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي(المتوفى: 170هـ)، المحقق:د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، العين.

أبو عبد الله بدرالدين الزركشي(المتوفى: 794هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، البرهان في علوم القرآن، 1376 هـ – 1957 م.

أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3 – 1407 هـ.

الخفاجي، بن سنان الحلبي (المتوفى: 466هـ)، ط1، دار الكتب العلمية، سر الفصاحة، 1402هـ _1982م.

د. فاضل صـالح السـامرائي، دار الفكر للطباعة والنـشر والتـوزيع–الأردن، ط1، مـعاني النحو، 1420 هـ – 2000 م .

رونالد لانغاكر، ترجمة عبد الجبار بن غربية، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، مدخل إلى النحو العرفاني، 2012م.

تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد الشيمي شحاته، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية – مصر، الإكليل في المتشابه والتأويل.

جورج لاكوف ومارك جونسون، ترجمة محمد غاليم، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق الاستعارات التي نحيا بها ، 2005.

رونالد لانغكر، ترجمة محمود السعران، بيروت: دار عالم الكتب الحديث، أسس النحو الإدراكي، ٢٠١٢م.

ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد(ت: 637هـ)، المحقق:أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة–القاهرة، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر.

عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر ، لطائف الإشارات ، ط3 .

كمال بخوش، (2021)، المقاربة العرفانية للغة عند رونالد لانغاكر، العدد 7 ، مجلة الآداب واللغات، جامعة الوادي.

عبد الرحمن بن أبي بكر، الـ سيوطي (المتوفى: 911هـ)، حققه وشرحه: د. محمود فجال، دار القلم، دمشق، الاقتراح في أصول النحو وجدله، ط1، 1409 – 1989 م .

عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: 180هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، الكتاب، القاهرة، ط3، 1408 هـ – 1988 م .

علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، التعريفات، 1403هـ –1983م .

غيل فوكونييه ومارك تيرنر، ترجمة فوزي بن السعيد، القاهرة: المركز القومي للترجمة، الدمج التصوري والعقل الإبداعي، 2018.

القاضي محـمد المعـافري الاشبيلي المـالكي (ت: 543هـ)، دراسة وتحقيق:محمّد السّليماني، دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، مؤسَسَة عُلوم القرآن، بيروت، قانون التأويل، ، ط1، 1406 هـ – 1986 م

الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، جامع البيان في تأويل القرآن، ط1، 1420 هـ – 2000 م .

مارك جونسون، ترجمة عبد الله صالح الجوهر، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الجسد في الذهن: الأسس الجسدية للمعنى والتخيل والعقل ، العدد 412، 2014.

محمد غاليم، مجلة اللسانيات العربية، الدلالة وبناء المعنى في المنظور الإدراكي، ع 4، 2016م.

يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: 643هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، شرح المفصل للزمخشري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1422 هـ - 2001 م.

محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، أبو بكر (ت 379هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبقات النحويين واللغويين، ط2، دار المعارف.

محمد بن عبد الله بن العباس، ، ابن الوراق(ت: 381هـ)، المحقق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد – الرياض السعودية، علل النحو، ط1، 1420 هـ-1999م.

عبد الرحمن بودرع ، طنجة: دار الرواد، اللسانيات الإدراكية: المفاهيم والآفاق، 2015.

محمد خطابي، الدار البيضاء: دار توبقال، اللسانيات الإدراكية: المفاهيم والتصورات، 2010

محمد بن يزيد، أبو العباس، المبرد (المتوفى: 285هـ)، المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب. – بيروت، المقتضب، .

مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، (1399 هـ - 1979م) ، المكتبة العلمية – بيروت النهاية في غريب الحديث والأثر.

ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط1 - 1418 هـ .

Reference

Meanings of the Qur'an and Its Grammatical Analysis

Guiding the Seeker to the Explanation of Ibn Mālik's Alfiyyah

The Comprehensive Lexicon of the Arabic Language

The Clarification of the Grammatical Analysis of the Qur'an

Clarifying the Objectives and Methods in the Commentary on Ibn Mālik's Alfiyyah

The Characteristics

Proofs of Eloquence

Landmarks of Revelation: Commentary on the Qur'an

The Meanings of the Qur'an

The Detailed Treatise on the Art of Grammar

Kitāb al-ʿAyn (The Book of al-ʿAyn)

The Proof in the Sciences of the Qur'an

The Revealer of the Realities of the Obscurities of Revelation

The Secret of Eloquence

Meanings of Grammar

An Introduction to Cognitive Grammar

The Diadem on Ambiguity and Interpretation

Metaphors We Live By

Foundations of Cognitive Grammar

The Outstanding Example in the Literature of the Writer and the Poet

The Subtle Allusions

The Cognitive Approach to Language According to Ronald Langacker

The Proposal on the Principles and Dialectics of Arabic Grammar

The Book (Sībawayh's Grammar)

Definitions

The Way We Think: Conceptual Blending and the Mind's Hidden Complexities

The Law of Interpretation

The Comprehensive Exposition of the Interpretation of the Qur'an

The Body in the Mind: The Bodily Basis of Meaning, Imagination, and Reason

Meaning and Meaning Construction from a Cognitive Perspective

Commentary on al-Zamakhsharī's al-Mufaṣṣal

Biographies of Grammarians and Linguists

The Causes of Grammar

Cognitive Linguistics: Concepts and Horizons

Cognitive Linguistics: Concepts and Perspectives

Al-Muqtaḍab (The Comprehensive Grammar)

The Ultimate Reference on Rare Words in Hadith and Tradition

The Lights of Revelation and the Secrets of Interpretation